



يتبع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في معالجته للأزمة السورية تكتيكات صلبة يحاول فرضها كقواعد تعامل مكتملة الشروط ومغلقة على أي إمكان للتعديل أو التطوير، إلا في اتجاه تصليب تلك التكتيكات بدرجة أكبر. حتى القوة الروسية الناعمة والمتمثلة في المجال الدبلوماسي باتت تتبع تكتيكات بوتين الصلبة.

وثمة محفزات تدفع بوتين بهذا الاتجاه مثل تراخي إدارة أوباما وتناقض توجهات الأجهزة الأميركيّة تجاه الأزمة السورية على ما كشف الصحافي سيمور هيرش مؤخرًا، وكذلك عدم وضوح موقف حلف شمال الأطلسي (ناتو) من التحرك الروسي على حدوده الجنوبيّة.

شكلت تلك الواقع مناخاً سلبياً وحاضنة لتوليد التقديرات غير الدقيقة، التي أخذت تؤثر في دوائر صنع القرار في روسيا، وتبين مؤشرات هذا التأثير في شكل جلي في التطويرات التي يضيّفها بوتين على حملته في سورية سواء من حيث توسيع نطاق تحركها أو من حيث رفع سقوف أهدافها.

ولا شك في أن ذلك يخلل منهجية إدارة الأزمة من قبل مختلف اللاعبين المنخرطين فيها و يؤثر في التفاعلات الإستراتيجية المحيطة بها، ذلك أن منهجية بوتين، في بداية انحرافه في الأزمة، كانت تتبع سياسة «الاكتفاء المعقول» والتي على أساسها تحقق روسيا أهدافها من دون الاضطرار إلى عبور النقطة الحرجة للمهمة والذي قد يدفعها إلى الزج بالمزيد من القوة العسكرية، ويعيد تعريف وجودها من المشاركة إلى التدخل، ويفصل بينهما خط رفيع، وفي سبيل تلافي الوقع في هذا الخطر يضطر بوتين إلى استخدام الأدوات التشفيرية التي توفرها إيران في الميدان من كتائب وميليشيات، وهو أيضاً ما يدفع موسكو إلى صناعة تحالف عسكري تقوده إيران برياً و تكون المساهمة الروسية فيه على شكل مشاركة في التخطيط

التشغيلي وتبادل المعلومات والإشارات الاستخباراتية وتحديد الأهداف.

في مقابل تلك الحاجة تجد إيران نفسها تحت غطاء التفويض الدولي الذي حصلت عليه روسيا بما يمنحها هاماً واسعاً للمناورة، وفيما تتركز الأنظار على التدخل الروسي وتسلط الأضواء عليه بدرجة كبيرة يتحول التدخل الإيراني إلى عنصر غير مرجي لكنه يعمل بفعالية وراحة أكبر في تنفيذ أهداف المشروع الإيراني، والتي يأتي على رأسها ليس الحفاظ على بشار الأسد بل إعادة صياغة الواقع الديموغرافي في سوريا والعراق، بحيث تشكل الحرب على «داعش» والتوترات الإقليمية خاصة مع تركيا قنابل دخانية للتغطية على المشهد الحقيقي والتفاصيل الكارثية التي تشكلها إيران في المشرق العربي.

وباعتبار أن مثل هذا الأمر يستلزم إطاراً زمنياً لصناعته وترسيخه فإن إيران، ستعمل بدرجة كبيرة على عرقلة فرصة صناعة التسوية التي أقرها مؤتمر فيينا مؤخراً وقرار مجلس الأمن الرقم 2254 حتى لو أرادت روسيا عكس ذلك، إذ رغم أن موسكو تبدو ظاهرياً المسيطرة على تفاصيل المشهد السوري لكنها لا تحكم بكل مخرجاته بما يجعل دورها فاقداً على تهيئة الظروف المناسبة لإيران سواء من خلال ضرب خصوم طهران المحليين وإشغالهم عن مواجهة مشروعها أو عبر الضغط على دول الجوار ودفعها إلى الانكفاء والانشغال بالإجراءات الاحترازية لمنع حصول صدام مع روسيا، ولا شك في أن ذلك يشكل فرصة ذهبية لإيران يصعب توافرها في وقت آخر، وبالتالي ستعمل إيران على إدامة هذا الوضع أطول وقت ممكن.

الحياة اللندنية

المصادر: